المعجم العربي الوسيط

للدكتور عدنان الخطيب

كان مؤتمر الدورة الثالثة والخمسين غنيًّا بالبحوث التي أُلقيت فيه . غَنيًّا بالأفكار والمقترحات التي وردت في تلك البحوث . وإذا كان الكلام على « المعجم العربي » قد استحوذ على الغالب منها . فإن الفِكَرَ التي جاءت على لسان الزملاء الأجلاء أدلت على ما يجيش في صدورهم من حب بالغ للفصحى ورغبة عارمة في رؤيتها تشد ما يزاحمها من لهجات وتقضي عليها . وكلهم يأمل في أن يقوم المجمع الموقر بالدور الكبير في تحقيق رغباتهم .

لقد كان الوقت المخصص لمناقشة تلك الفِكَر والآراء والتعليق عليها أضيقَ من أن يفي بما تستحقه من عناية بها ومناقشة ما فيها وإقرار الممكن منها . وخصة لأنها كانت واسعة مترامية الأطراف . عميقة بعيدة الأغوار . يحمل بعضها طموح الشمال في أن يرى « المعجم العربي » غداً سجلا يضم شتات ما في الحضارة العربية الإسلامية من ألفاظ وكلمات . ويحمل بعضها الآخر آمال الجنوب في أن يكون ما يعنى به « مجمع اللغة العربية » معجماً عصرياً ينهض بالعربية السليمة ، خلواً من الحوشي المستغرب والعامي المبتذل . وفي جميع هذه الآمال والأفكار خير للفصحى التي نريد .

غير أني أرى أن جميع ما عرض علينا من أفكار ومقترحات لا يمس شغاف العمل الذي نجح مجمعنا في تحقيقه ووضعه بين أيدي الناس . ألا وهو « المعجم الوسيط » وهو إنجاز هام يسجل إخراج المجمع له في طبعات ثلاث بمداد الفخر .

لقد كان « المعجم الوسيط » منذ صدور طبيعته الأولى سنة ١٩٦٠ م جليسي المفضل آناء الليل وشطرا من النهار . تشهد بهذا صفحات مجلة مجمع دمشق ومقدمة اللجنة المشرفة على إخراجه

(*) ألقي بحث في الجلسة الثانية ليوم الثلاثاء ٢٣ / ٢ / ١٩٨٨ م .

فى صدر طبعته الثانية الصادرة سنة ١٩٧٢ م ، وإنى وإن كنت ، فيما كتبت عن « المعجم الوسيط » أشرت إلى مـا أراه نقصا يجب إتمامه أو عيبا يجب إصلاحه ، فإن نقدى لم يكن ليتضمن أى انتقاص من جهود المشرفين عليه والقائمين على إخراجه ، إنما كان النقد طلبا للإصلاح وسعيا وراء الكمال ، خدمة للفصحى ، وهى الهدف الأول لنا ، وكلنا خطّاء . وخير الخطائين من يعمل على إتقان عمله .

وأنا اليوم أعرض عليكم بعض الملاحظات حول « المعجم الوسيط » ممهدا لها بكلمة عن أثر علوم اللسانيات على ما يكتب عن المعجم الوسيط ، مع وشل مما كتب .

إن ما يسمى بالعلوم اللسانية أو باللسانيات ، علوم حديثة النشأة ولكنها سريعة الخطوات ، دخلت جامعات الأقطار العربية متأخرة ، غير أنها سرعان ما اشتد ساعدها وقوى أنصارها .

ونحن غير المختصين فى أى علم من علوم اللسانيات . نرى أنها إن كانت تستهدف الكشف عن أفضل الأساليب التربوية لتعليم لغة من اللغات أو تستهدف استخدام الرموز اللغوية للكشف عن طبيعة السلوك البشرى أو البحث عن الجذور الأولى للغة من أجل مقارنتها بجذور اللغات الأخرى لتبيان العلاقة بين اللغة ووظائف الدماغ البشرى أو ما شاكل هذا من الأهداف التى تغنى المعرفة أو تفيد فى تبسيط قواعد اللغة أو تسهل اتقانها ، فلها منا كل تقدير وتشجيع .

أما إن كان من أهداف اللسانيات تطويع العربية للمبادىء المستنبطة من دراسات لغات أجنبية ، فإننا نرفض ذلك ما دام يتنافى مع مميزات العربية وقواعدها التى تختلف عن أصول وقواعد اللغات الأجنبية .

وكل من يظن أن بإمكانه تطويع العربية إلى أساليب مستنبطة من قواعد تقبلها اللغات الأجنبية ، خارج الحدود التى يقرها مجمع اللغة العربية يظن

خطلا ، ولو ادعى أنه يعمل على تأهيل العربية للانتشار الواسع . أو تسهيل ترويضها على التنميط (التبرمج) والإدخال فى الحاسبات الإلكترونية أو فى (بنوك) المعلومات أو المصطلحات العلمية والفنية حتى تماشى لغات العالم المتحضر .

أقول هذا مدفوعاً بما قرأت ولمست من نهضة علمية فائقة قامت فى القطر التونسى الشقيق ، وكان نصيب العربية منها كبيرا ، والقسم الأعظم من هذا النصيب انصبّ على « المعجم العربى » .

إن نفرا من شباب تونس اللامعين أمضوا شطرا من حياتهم فى أوربة وعلى الغالب فى فرنسة ، وتخصصوا باللسانيات التى استولت عليهم جدتها وطرافتها ، ففكروا بأن النهوض بالعربية يمكن أن يتم عن طريقها ، فكونوا حلقة منهم باسم « جمعية المعجمية العربية بتونس » وكان من أهم إنجازاتها إخراج « مجلة المعجمية » التى صدر العدد الثانى منها فى أواخر عام ١٩٨٦ ، كما قامت الجمعية بعقد ندوات علمية وأنهت طباعة وقائع ندوتها الأولى التى عولج فيها « إسهام التونسيين فى إثراء المعجم العربى » كما نشرت عددا من بحوث أفرادها ومؤلفاتهم .

إن اللولب فى هذه النهضة وكاتب أكثر بحوثها طرافة هو صديقى وزميلنا الدكتور محمد رشاد الحمزاوى .

وأهم ما يجلب الانتباه فى تلك البحوث والمؤلفات الروح العالية التى سادت فيها بدافع خدمة اللغة العربية وإثراء معجمها العلمى لتساير النهضة العلمية الحديثة فى العالم ، غير أن اللسانيات بعجزها وبجرها كانت السائدة فيها .

يقدم زميلنا الدكتور الحمزاوى عمله فى كتابه (من قضايا المعجم العربى) « بيروت ١٩٨٦ بقوله : . . . . نعتمد فيه بالخصوص على معطيات من اللسانيات الحديثة فاستندنا إليها لنقرأ المعجم القديم أو الحديث قراءة جديدة لاستقراء محاولاته الجريئة تنظيراً وتطبيقاً . .)

وبعد أن درس بعض المعجمات القديمة في ضوء النظريات الحديثة ، أتى على ذكر معاجم العصر ، لبيان منزلتها من الدراسات اللسانية ، وبعد تعريفه المعجم اللغوى وكيف يميز عن المعجم اللغوى الموسوعى الذى يستوعب أسماء الأعلام والبلدان ، قال : « . . وبهذا الاعتبار تبين لنا أن الموسوعة الرائجة في العصر الحـديث هى دائرة المعارف العربية للبستاتى » وإن لم نكتمل فقط ١/٢ حرف الألف ، وإن المعجم الموسوعى العربى المشهور هو « المنجد » وإن كنا نحترز فى هذا الرأى ، وإن المعجم اللغوى الجديد هو « المعجم الوسيط » . . .

ثم يقارن الدكتور الحمزاوى بين الوسيط والمنجد ويقول : (إن المعاجم العربية الحديثة ، لا سيما المنجد والمعجم الوسيط ، يعتبران أنهما موجهان إلى الأدباء والمثقفين والطلاب . . . »

وبعد أن بين الدكتور الحمزاوى منهج كل واحد من المعجمين قال :

« . . . لا شك أن المعجم الوسيط قد جَدد كثيرا بالنسبة « للمنجد » فيما سنراه ، فى مناسبات عديدة ، وصحيح أنه يستمد قوتُه من مجمع عربى ، وهو مجمع اللغة العربية الذى يدعو إلى إجماع لغوى عربى ، إلا أن هـ ذا الموقف لا يخلو من مذهبية تعتبر أن وضع المعجم من حق العرب المسلمين ، وليست من حق العرب المسيحين لأن « العربية لا تتنصر . قولة قالها الشمينى وردد معناها المعجم الوسيط فى مقدمته » . (كذا) !

وبعد الاستشهاد بأمثلة ضعيفة الدلالة على ما يراد منها .

وبعد تفصيل الكلام على المعجم من حيث النظام اللغوى ووضع الكلمة فى المعجم ومقارنة التعريفات فى كل من الوسيط والمنجد واستقراء دلالة كل ذلك . كاد المنجد أن يحرز قصب السبق لولا أنه تعثر أمام المصطلحات التى حواها المعجم الوسيط .

وفى ندوة أقامتها جمعية المجمية بتونس لتفصيل الكلام عن إسهام

التونسيين فى إثراء المعجم العربى ، قال وزير مسؤول يثنى على الجمعية : (. . . هى الجمعية الأولى من نوعها فى العالم العربى ، تؤسس فى وقت تتزايد فيه الحاجة إلى العناية بقضايا اللغة العربية التى ما انفكت تواجه التحديات الكبيرة ، ولا شك أن من أهم مجالات اللغة مجال المعجمية . ثم تكلم السيد الوزير عن تيار تأليف المعاجم فى الأقطار العربية وعن حركة الإحياء اللغوى . فانتهى إلى أن قال : (. . . ولكنه إحياء متعثر لأن المحدثين قد ركنوا إلى تقليد القدامى فتسارعوا إلى مناهجهم القديمة يطبقونها وإلى معاجمهم القديمة ينتقون من مادتها انتقاءً لم يخضع فى معظم الأحيان للمنهجية العلمية ولمقتضيات العصر الحديث . فكانت المعاجم الحديثة لذلك فى معظمها صورا مصغرة للمعاجم القديمة فيها نفس نقائصها وعيوبها . .) . . ولم يكتف الوزير الذى كان فى عهد غير مسؤولا بما قال ، بل أخذ يتحدث عن سبب تأخر المنهجية العلمية عند العرب قائلا : (. . . هو أن نظرة العرب . حتى فى القديم ، إلى اللغة العربية هى نظرة تقديسية تعتبر أن ما وصلته اللغة العربية إنما هو شىء كامل لم يخضع إلى التطور بالمعنى الشامل . . .) !

أنا لا أستغرب هذا الكلام من وزير مسؤول كان فى عهد سادت فيه عند كثير من المثقفين قوله : « كن تونسيا وتكلم بأى لغة شئت » (انظر تحطيم هذه القولة من قبل الزميل محمد أبو القاسم كرو فى مجلة العمل ١٩٨٧) .

أنا لا أزعم أن أحدا من علماء اللسانيات تجرأ على مس قدسية القرآن الكريم . غير أن مفسرى الكتاب العزيز لم ينجوا من بحوث أولئك العلماء ودراساتهم . وحتى صديقنا الحمزاوى يختتم كتابه المعنون (العربية والحداثة بيروت ١٩٨٦) بقوله : (. . . وفى النهاية لست أعلم ما هو حظنا من المساهمة فى الهيئات والمؤسسات المختصة فى البحث عن أحسن الطرق لتطبيق النظريات بغية تعليم اللغات . .) إلى أن يقول : (. . . هذا فى عجالة تصورى لقضية تطبيق مبادىء النظريات اللغوية الحديثة على العربية وتدريسها » :

على أنه ليس كل ما كتب أو يكتب من نقد للمعجم الوسيط يعد لغواً لا قيمة له ، بل إن ما فيه هو حق ، ويجدر باللجنة المشرفة على المعجم أن تتدارسه حتى إذا ما وجدته صحيحاً ، أقرت الأخذ به فى الطبعة التالية ، وبهذا يبقى المعجم الوسيط متجدداً يتكامل مع الزمن ، شأن معجمات اللغات الأجنبية الكبرى .

ولكن لابد للمعجم الوسيط من بعض الموظفين يكون شغلهم الشاغل استقصاء ما يكتب عن المعجم فى مختلف البلاد يجمعونه ويصنفونه تمهيدا لدراسته من قبل العلماء المشرفين على إصدار الطبعة الجديدة منه .

وأخيراً سأعرض عليكم بعض المقترحات التى أجد الأخذ بها صلاحا واقترابا من الكمال ، تتضمنها النبذ الأربع التالية

١ ـ لفظة تبحث عن هوية :

كان المجتمعون فى ندوة علمية بصدد انتخاب لجان تتقاسم العمل الموكول إليهم ، فإذا بأحدهم يسأل : هل لفظة « لجنة » عربية التجار ؟ فتصدى آخر ورد عليه قائلا : الكلمة ذات جذر صحيح معانيه عديدة ، ولفظة « لجنة » » تدل على معنى اصطلاحى يطابق المعنى الذى يهدف الانتخاب إليه وأردف لدعم عربية الكلمة ، قائلا : الكلمة كثيرا ما ترد فى جلسات مجامع اللغة العربية وتدون فى محاضرها ، وكل واحد منها لديه أكثر من لجنة .

فانبرى السائل الأول يقول : ما بال المعجم الوسيط إذن يصف الكلمة بأنها (مولدة) ، لأنها لو كانت فصيحة صحيحة لرفع رمز التوليد من التعريف بها أو استبدله على الأقل ، برمز يدل على أن المجمع قد أقرها ؟

هذا الحوار دفعنى للعودة إلى المعجمات انظر فيما ذكرته عن الكلمة فوصلت إلى ما يلى : إن أشمل ما دونته المعاجم جاء فى التاج شرحاً لما ذكره الفيروزآبادى فى القاموس ، وزبدة ما فى التاج هى .

(اللجن : اللحس) كذا فى النسخ والصواب الحبس ، وكل ما حبس فى الماء فقد لجن . . و (اللجنة) بالفتح (الجماعة يجتمعون فى الأمر ويرضونه . .)

وقال الشيخ أحمد صاحب (متن اللغة) مانصه .

واللجنة : الجماعة يجتمعون فى الأمر ويرضونه ، وضبطها صاحب التكملة بضم اللام » وتستعمل فى فريق من المجلس يختص فيه البحث ببعض أعماله « استعمال مولد حديث عثمانى » . وقد أطلقها مجمع دار العلوم على ما يعرف (بالقومسيون) إ هـ .

ومن الطريف أن تعريف الكلمة جاء فى الجزء السادس من كتاب (التكملة والذيل والصلة) للصاغانى الذى أخرجه مجمعنا الموقر سنة ١٩٧٩ بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم رحمه الله ومراجعة أستاذنا الجليل الدكتور علام . بالنص الآتى :

اللَّجنة : الجماعة من القوم يجتمعون فى الأمر ويُرَوِّضونَه (أو يَروضونه فالكلمة غير مشكولة) .

ولم يعلق المحقق على التعريف بغير الإشارة إلى أنه جاء فى نسخ أخرى مخطوطة (ويَرْضونه) وهل فى معاجم اللغة عن راض الأمر يروضُه رياضة ورَوَّضه ترويضا غير معنى ذلَّله ورواه ، وهل مهام اللجان غير تذليل صعاب مايعرض عليها وإروائه بالبحث والدراسة واستخلاص النتائج ؟

* * *

٢ ـ كلمة يجب اثباتها فى المعجم :

كلمة حاخام غير عربية . تدل على رتبة أو منصب دينى لدى الموسويين . دخلت العربية بحكم وجود طائفة يهودية فى أكثر الأقطار العربية ، غير أن المعجم الوسيط لم يوردها لأنه غير ملتزم بإيراد أمثالها من الدخيل ، وقد استحسنت له فى النظرات التى نشرتها فى عقد الستينيات إثباتها ، ولكنه لم يفعل فى طبعتيه الثانية والثالثة . وآمل اليوم أن يثبتها فى طبعته الرابعة . لا لأنها دخلت فى لغتنا المحكية والمقروءة والمسموعة فحسب . بل لأنها كلمة دخلت حرم المجمع وأُثْبتت فى محاضره وفى كتب نشرها ، يوم كان أحد أعضائه المؤسسين يحمل تلك الرتبة وقد أُثبتت فى ترجمته جملة (فأختير حاخاماً الطائفة الموسوية فى بلاد الدولة العثمانية) .

٣ ـ العامية مقبولة بشروط :

أثيرت فى الدورة الماضية مسألة احتواء المعجم الوسيط بعض الكلمات العامية . وأنا لا أرى ضررا فى أن يثبت المعجم أى كلمة عامية دارجة على ألسنة الناس ، شريطة النص على عاميتها ،ومن المستحسن أن يشار فى تعريفها إلى الكلمة الفصيحة التى يمكن أن تحل محلها ، أما أن يغفل النص على عاميتها فهذا يؤذى العربية ، فكيف إذا رافق التعريف بها مايضعف هويتها ، كما حدث فى تعريف كلمة (الشُّبُّورة) فقد نص الوسيط على أنها : الضباب فى الصباح ، وألحق بالتعريف قوله : (محدثة) مما أدى إلى تسرب الكلمة إلى أكثر من قطر عربى على لسان بعض المذيعيين وعلى أقلام بعض المحررين . وإذا كان تعريف الكلمة بضباب الصباح غير واف فتمكن الإشارة إلى كلمات كثيرة عربية صحيحة مثل (الهَيُدب والدَّجُن والحَبِّى والمُسِفّ) .

٤ ـ تماثل التعريفات سمة المعجم الحديث :

من المألوف أن يكون الأسلوب الذى يسود فى أى معجم واحدا ، سواء أألفه شخص واحد ، أم اشترك فى تأليفه أكثر من واحد لأن المفترض فيهم وضع قواعد مسبقة من أجل التحرير تتماثل فيها تعريفات الكلمات المتشابهة : وهذامتطلب من متطلبات عديدة فى المعاجم الحديثة فى الدول الراقية .

وسنختار سبع كلمات من المنحوتات الخفيفة الجرس المعرَّفة فى المعجم الوسيط لنرى إلى أى حد تتفاوت فى تعريفاتها :

١ ـ بسمل بسملة : قال : بسم الله الرحمن الرحيم أو كتبها .

٢ ـ حسبل : قال حسبى الله (منحوت من : حسبى الله) .

٣ ـ حمدل : قال : الحمد لله (منحوت من الجملة) .

٤ ـ حوقل فلان ، قال : لاحول ولا قوة إلا بالله .

٥ ـ حولق حولقة : أى قال : لاحول ولاقوة إلا بالله (منحوته) .

٦ ـ حيعل المؤذن : قال حى على الصلاة .

٧ ـ سبحل فلان : قال : سبحان الله .

عدنان الخطيب
عضو المجمع من سورية